الدور الثقافي لمدينة الكرك في العهد الأيوبي

م. م. - ظافر خضر عباس الجاسم
وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة الانبار

الملخص:
إنّ وجود مدينة كالكرك على مفترق الطرق بين بلاد الشام ومصر أعطاها أهميةً مميزة من موقع استراتيجي وعسكري يسهل الدفاع عنه ويصعب الهجوم عليه، وليس أدلّ على ذلك إلا فشل العديد من المحاولات الزنكية والأيوبية في حصار مدينة الكرك والسيطرة عليها إذ أطر المحاصرون في كثير من الأوقات إلى فك الحصار والعودة من حيث أتوا إما لوصول الدعم القوي للكرك أو لقوة الدفاع وكثرة الخسائر من الطرف المهاجم، إلا أنّ ذلك لم يمنع صلاح الدين في نهاية الأمر من التمكن من السيطرة عليها.
لقد طغت شهرة الكرك في العصر الأيوبي بفضل الأحداث التاريخية التي جرت على أرضها بين الصليبيين والأيوبيين، إلا أنه لا يمكن أغفال الجانب الثقافي الذي شغلته مدينة الكرك سواء من ناحية أرسال أبنائها للتعلم في المدارس الأيوبية لتطوير مهاراتهم في القراءة والكتابة ومختلف العلوم القرآنية والأحاديث النبوية، بالإضافة لحصولها على الاهتمام اللازم من قبل الحكام والسلاطين الأيوبيين، وبخلاف هذه الأمور فإن مدينة الكرك مدينة ثقافية بفضل معالمها العمرانية وخاصة قلعة الكرك.
اعتمد البحث على المنهج التاريخي الذي يعتمد على البحث والعمل على توفير المادة العلمية ونقدها وتحليلها للوصول إلى الحقيقة التاريخية.
الكلمات المفتاحية: الكرك، الأيوبيين، الثقافة.

Abstract:
The presence of a city like Karak at the crossroads between the Levant and Egypt gave it a distinct importance in terms of a strategic and military location that is easy to defend and difficult to attack. The only evidence of this is the failure of many Zengid and Ayyubid attempts to besiege the city of Karak and control it, as the besiegers were often forced to dismantle it. The siege and return to where they came from, either due to the arrival of strong support for Karak or the defense force and the large number of losses from the attacking party, but that did not prevent Saladin in the end from being able to control it.
The fame of Karak was overshadowed in the Ayyubid era thanks to the historical events that took place on its land between the Crusaders and the Ayyubids. However, the cultural aspect that the city of Karak occupied cannot be overlooked, whether in terms of sending its children to study in Ayyubid schools to develop their skills in reading and writing and various Quranic sciences and the Prophet's hadiths, in addition to... Because it received

the necessary attention from the Ayyubid rulers and sultans, and in addition to these matters, the city of Karak is a cultural city thanks to its urban landmarks, especially Karak Castle .

The research relied on the historical approach, which relies on research and work to provide scientific material, criticize it, and analyze it to reach the historical truth.

Keywords: Karak, Ayyubids, culture.

المقدمة:

حظيت الكرك باهتمام الأمراء والسلاطين والخلفاء المسلمين على مر العصور الإسلامية الوسطى.

واستمر ذلك الاهتمام خلال العهد الأيوبي، فقد ادرك صلاح الدين الأيوبي أهمية الكرك بوصفها صلة وصل بين بلاد الشام ومصر وبسبب قربها من القدس الشريف الأمر الذي دفعه للقيام بعدة محاولات للسيطرة عليها وطرد الصليبيين منها ليتم له الأمر في النهاية وتدخل الكرك تحت السيطرة الأيوبية، ولذلك اكتسب موضوع البحث اهمية وخصوصية في حقل الدراسات الإسلامية والمسيحية في العصور الوسطى على حد سواء، وقد حظيت الكرك خلال العهد الأيوبي بمكانة ثقافية حيث أصبحت قبلة للعديد من العلماء والشيوخ خاصةً في عصر الناصر داوود.

البحث يقع في مبحثين، في المبحث الأول سيتم الحديث عن أوضاع مدينة الكرك في عهد صلاح وكيف عمل على إعادة الكرك إلى السيطرة الإسلامية وممن جاء بعده من سلاطين أيوبيين أو حكام وقعت الكرك تحت سلطتهم حتى خروجها من السيطرة الأيوبية ودخولها في حيز السيطرة المملوكية، وفي المبحث الثاني سيتناول البحث الحديث عن الدور الثقافي الذي شغلته مدينة الكرك خلال سلطنة صلاح الدين الأيوبي ومن خلفه من السلاطين.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث للأهمية التي شغلتها مدينة الكرك وما تبعها من مكانة مميزة خلال العصر الأيوبي فقد كانت ذو أهمية بموقعها وأحداثها الأمر الذي جعلها موقع اهتمام من قبل الصليبيين الذين عملوا على السيطرة عليه ومحاولة إبقائها والدفاع عنها بوصفها مركزاً يقطع صلة الوصل بين بلاد الشام ومصر وقد فشلت العديد من المحاولات من قبل المسلمين لإعادة السيطرة عليها حتى تمكن صلاح الدين من اخضاعها وإعادة السيطرة عليها، لا تأتي أهمية البحث من أوضاع مدينة الكرك فحسب

وإنما الأهمية الحقيقية تكمن في المكانة الثقافية التي شغلتها مدينة الكرك وما هي العوامل التي ساعدتها لترتقي مكانة ثقافية مثلها مثل غيرها من المدن.

إشكالية البحث:

يطرح البحث عدة إشكاليات:

١- هل لمدينة الكرك مكانة مميزة في التاريخ الأيوبي؟

٢- ما الأهمية التي شكلتها مدينة الكرك لدى الصليبيين والأيوبيين؟

٥- ما هي مراكز التعليم التي انتشرت وكان لها وقع مهم على مدينة الكرك؟

٦- كيف صنعت الكرك لنفسها مكانة ثقافية؟

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية والعمل على استخلاص المعلومات التاريخية منها واخضاعها لعمليات النقد والتحليل وصولاً للحقيقة التاريخية.

تمهيد:

تدلّ التماثيل العائدة للفترة النبطية المكتشفة في القلعة أنها استخدمت زمن الأنباط، فضلاً عن أنها أدت دورها كحصنٍ منيع في العصور المختلفة، الإغريقية، والرومانية، والبيزنطية، كما أشارت إليها خريطة الفسيفساء في مأدبا(١).

أما في فترة الفتوحات الإسلامية فيذكر أن قائد جيوش المسلمين أبو عبيدة عامر بين الجراح كان قد فتحها صلحاً(٢).

ويشار إلى أن حصن الكرك كان موجودًا ومستخدمًا زمن الفاطميين، قبل وصول الصليبيين إلى بلاد الشام، واتخاذهم لها حصناً ذلك أن الصليبيين سيطروا على الكرك سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، وكانت قلعة الكرك قائمة، وكل ما فعله الفرنج أنهم زادوا في إعمارها وتحصيناتها(٣).

وتم تحريرها زمن الأيوبيين على يد العادل أخي صلاح الدين في عام ٥٨٤هـ / ١١٨٩م، بعد حصار دام سنة ونصف تقريباً(٤).

تقع قلعة الكرك في الجنوب الغربي من القصبة، ويفصلها خندق حفر في الصخر، ويبلغ طولها من الشرق ٢٢٠م، ومن الغرب ٢٤٠م ومن الجنوب ٩٠ م ، أما من الشمال فيبلغ ١٣٥م، ويحيط بالقلعة

سور تتخلله عدة أبراج تتخذ أشكالاً مربعة، وأسطوانية، وتكثر منافذ السهام على امتداد السور والأبراج، وتحتوي القلعة من الداخل على منشآت عديدة لأغراض عسكرية واستراتيجية، ويذكر أن بعض أجزاء القلعة كانت قد تعرضت إلى الخراب في عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م، عندما طارد إبراهيم باشا الشيخ قاسم الأحمد زعيم نابلس، الذي كان قد لجأ إلى قلعة الكرك ليحتمي بها، وعندما دخلت الدولة العثمانية إلى قصبة الكرك سنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م جعلتها مركزاً للمتصرفية العثمانية، فأزالت الأنقاض والأتربة المتراكمة في القلعة، واتخذتها ثكنة عسكرية للجند، ومخزنا للمؤن، وقد ذكر الرحالة الإنجليزي "داولنج" الذي زار قلعة الكرك سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م أن عدد أفراد الحامية التركية المرابطة في القلعة كان نحو ١٤٠٠ جندي، وارتفع هذا العدد في القرن العشرين قبل بداية الحرب العالمية الأولى إلى ٢٠٠٠ جندي من المشاة و ٢١٥ من الفرسان[٥].

المبحث الأول: أوضاع مدينة الكرك خلال العهد الأيوبي:

المطلب الأول: مدينة الكرك خلال عهد صلاح الدين:

نتج عن الحملة الصليبية الأولى خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد احتلال عدة مناطق ونشوء امارات وممالك صليبية الأمر الذي أدى إلى دخول المسلمين في حرب عنيفة ضد الصليبيين لاسترداد ما ضاع منهم، وإن احتلال الصليبيين للقدس سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م، جعل طموحهم يتجه نحو المنطقة الشرقية المحيطة بالبحر الميت (الكرك) .

وكان اول هجوم على تلك المنطقة من جانب الصليبيين ، في سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م، عندما شن بلدوين الأول ، ملك القدس ، هجوما على القبائل العربية المستقرة فيها لمهاجمتها اطراف مملكة القدس. ولكن تلك القبائل انسحبت إلى داخل البلاد عندما علمت بقدوم بلدوين الذي عاود الكرة عليها في السنة التالية وسبى نساءها واطفالها ونهب مواشيها بعد أن هرب رجالها[٦].

وبالرغم من تلك الهزيمة التي منيت بها تلك القبائل العربية ، إلا أنها واظبت على مهاجمة اطراف مملكة القدس، فاستقر رأي بلدوين سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م على احتلال مناطق هذه القبائل. فقام باختيار موقع حصين، من الناحية الطبيعية، وبنى عليه قلعة، عرفت هذه القلعة فيما بعد باسم الشوبك

اقام فيها حامية من الفرسان والمشاة وزودها بالمؤونة والأسلحة، من خلالها تمكن من بسط سيطرته على المناطق المحيطة بها(٧).

وفي السنة التالية، قام بلدوين بزيارة لتلك القلعة ، ومنها سار على رأس قواته إلى ايلة العقبة واحتلها بعد هروب اهلها. وفيها بني قلعة حصينة لتكون مركز دفاع عن البلدة، وبواسطتها استطاع ان يسيطر على الطريق ما بين الشام ومصر(٨).

ولأهمية القلاع ودورها في توسيع حدود الصليبيين قام فولك الانجوي ملك القدس ، سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ببناء قلعة الكرك التي اصبحت فيما بعد مركز للمنطقة الصليبية الشرقية. وبواسطة تلك القلعة الجديدة تم احكام السيطرة الصليبية على القبائل المحيطة بها حتى انها اجبرت أن تدفع مقدارا من المال سنويا لصاحبها(٩).

وإن دور قلعة الكرك في قطع طرق المواصلات بين الشام ومصر جعلها موقع اهتمام القوات الإسلامية في ضرورة السيطرة عليها والتخلص من واقع الضغط الصليبي. ففي جمادي الآخر سنة ٥٦٥ هـ / شباط ١١٧٠ م شن عليها نور الدين زنكي حملة قوية وكان سبب ذلك ان صلاح الدين أرسل إلى نور الدين يطلب ان يرسل اليه والده نجم الدين أيوب فجهزه نور الدين بجيش قوي من العساكر إلا أن نور الدين خشي عليه من الفرنج فسار في عساكره إلى الكرك فحصره وضيق عليه ونصب عليه المنجنيق، وعند قدوم النجدة لفرنجة الكرك رحل نور الدين عنها إلى دمشق التي في عودته اليها هاجم اطراف بلاد الفرنجة ونهبها(١٠).

وعندما كان الصليبيين يحاصرون دمياط سنة ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، قام نور الدين، في شعبان / نيسان ، من نفس السنة، بالهجوم على الكرك لتخفيف الضغط عن دمياط بإشغالهم على جبهتين . ولقد صدق ظنه فبعد أن اقام عليها أربعة ايام توافدت النجدات اليها، وقبل وصولها فك نور الدين الحصار وخرج لمقابلتها. إلا أنه لم يشتبك معها في قتال ، واستطاعت النجدات هذه ان تصل إلى الكرك. اما نور الدين فلقد رجع إلى دمشق وفي طريق عودته، كما في المرة الأولى ، أغار على بلاد الفرنجة ونهب منها ما استطاع نهبه(١١).

وفي سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م ، جهز صلاح الدين مراكباً وحمّلها قطعاً إلى بحر القلزم حيث رُكّبت ، وبها هاجم العقبة واستعادها إلى الحظيرة الإسلامية بعد ان قضى على حاميتها الصليبية(١٢).

وقد كانت عودة نور الدين لمحاصرة الكرك للمرة الثالثة سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ، وكان قد طلب من صلاح الدين القدوم من مصر لمساندته إلا أنّ الأخير لم يهب لمساعدته فاضطر نور الدين أمام حصانة قلعة الكرك أن يفكُّ الحصار عنها وأن يعود إلى دمشق(١٣).

وقد أراد صلاح الدين أن يعوض عن تخاذله في نصرة نور الدين ، فشن سنة ٥٥٦٨ / ١١٧٢م، على الكرك هجوماً قوياً. ولكنه لم يستطع احتلالها لأنه رفع الحصار عنها عندما علم بقدوم نور الدين لمساعدته، فخاف ان يقبض عليه، فعاد إلى مصر(١٤).

بعد صمود الكرك أمام تلك الغزوات، انتقل صاحبها أرناط(١٥) من طور الدفاع إلى طور الهجوم وأخذ زمام المبادرة. فعزم سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١ م ، على مهاجمة المدينة المنورة ، ولما علم عز الدين فرخشاه نائب صلاح الدين بدمشق بذلك جهّز جيشاً وسار على رأسه لمحاصرة الكرك إلا أنّ أرناط استطاع دفعه عنها إلى أطراف المناطق المحيطة بها. فلما طال مقام كل واحد منهما في مقابلة الآخر أرتأى أرناط أنّ المسلمين لا يعودون حتى يتفرق جمعه فقام بتفرقتهم، وعاد عز الدين إلى دمشق(١٦).

وبعد محاولة أرناط الجريئة تلك ، أدرك صلاح الدين خطورة صاحب الكرك ، فقرر مهاجمته في عقر داره ، وسار اليه في رجب ٥٧٩ هـ / تشرين الأول ١١٨٣ م ورمى الكرك بالمنجنيق إلا أنها قاومت صلاح الدين الذي اضطر للانسحاب عندما قدم الصليبيون لنجدتها(١٧).

وفي السنة التالية عاودها صلاح الدين بعد أن استقدم عساكر من جزيرة ابن عمر بقيادة محمد بن قرا ارسلان وعساكر مصر بقيادة أخيه الملك العادل ، وكما في المرات السابقة ، صمدت الكرك وانسحب المحاصرون عند قدوم النجدات الصليبية(١٨).

وبالرغم من كل النكسات التي مُنيَ بها صلاح الدين في حصاره للكرك فانه في محرم ٥٨٣ هـ / آذار ١١٨٧ م خرج مرة أخرى لمحاصرتها وأقام عليها حتى عاد الحجاج من مكة المكرمة . وفي تلك الحملة قطعت عساكره اشجار الزيتون والكرمة ، كما رعت خيوله مزارع بلاد الكرك، إلا أنّه لم يستطع إخضاعها، وكان لصلاح الدين لقاء اخر مع صاحب الكرك أرناط الذي وقع في الأسر نتيجة النصر الذي حققه صلاح الدين في معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م إذ كبد الصليبيين خسائر فادحة مهدت له الطريق لاستعادة القدس(١٩).

وبعد التخلص من أرناط ارسل صلاح الدين جيشا بقيادة سعد الدين كمشبه لمحاصرة الكرك، ودام الحصار حوالي سنة فنيت خلالها ازواد المحاصرين ، فراسلوا صلاح الدين بالتسليم ، وعندما تقرر التسليم ، ارسل صلاح الدين إلى صهره سعد الدين كسشبه في ذلك . حيث تسلم مع الكرك والشوبك وسالع وكان ذلك في رمضان سنة ٥٨٤ هـ / تشرين الأول ١١٨٨ م [٢٠].

وبعد مرور أربع سنوات على احتلال الكرك ، أعطيت مع الشوبك والصلت والبلقاء لصلاح الدين مقابل ستة آلاف غرارة غلة تحمل سنويًا إلى السلطان صلاح الدين[٢١].

وبعد أن استتبّ الأمر لصلاح الدين ، وتغلب على أبناء أخيه ، قسم البلاد بين أبنائه ، فأعطى الشام والكرك والشوبك للملك المعظم عيسى ، ومصر للكامل والبلاد الشرقية للأشرف، وكان يتنقل ما بين تلك الممالك الثلاث [٢٢].

المطلب الثاني: مدينة الكرك خلال عهد خلفاء صلاح الدين:

خضعت الكرك إلى الملك العادل أخ صلاح الدين الأيوبي وبعد ذلك إلى المعظم عيسى بن الملك العادل، وفى ٣٠/ايلول/١٢٣٩م وقع أيوب أسيراً بيد الناصر داوود في نابلس فسجنه الأخير في الكرك الخاضعة لسيطرته، وتولى الأمر من بعد المعظم ابنه الملك الناصر داوود وقد لعبت الكرك بقيادة صاحبها الناصر داوود الذي تحالف مع بيبرس لاسترداد القدس ونابلس والخليل من الصليبيين[٢٣].

إلا أنّ السلطان ناصر الدين يوسف تغلب عليه وتولى الشام بدلاً منه واضطر داوود أن يتخلى عن الكرك سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م للسلطان الصالح نجم الدين ايوب صاحب مصر. وإلى أن مات مطعوناً سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م في قرية البويضا ، قرب دمشق ، عاش طريداً مشردًا لا مقر له [٢٤].

وعندما قتل الملك توران شاه ، في ٢٩ محرم ٦٤٨ هـ / ٣ أيار ١٢٥٠ م ، على يد مماليك أبيه نجم الدين ايوب، اخرج بدر الدين الصوابي من سجن الكرك أحد أفراد البيت الأيوبي المعروف باسم عمر بن العادل بن ابي بكر بن الكامل بن العادل ونصبه ملكاً على الكرك والشوبك . ففي ٣٠/تموز/١٢٥١م كان المغيث عمر بن العادل حاكمًا على الكرك في الوقت الذي تزوجت شجر الدر من حسن ايبك ونصب المماليك عز الدين ايبك سلطاناً، بعدها دخل المغيث في صراع مع الناصر يوسف في الكرك، واستمر حكمه فيها إلى أن قبض عليه الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م وضم الكرك اليه[٢٥].

المبحث الثاني: المكانة الثقافية لمدينة الكرك خلال العهد الأيوبي:

المطلب الأول: الدور الثقافي لمدينة الكرك خلال عهد صلاح الدين:

سار النشاط العمراني في دولة صلاح الدين في خط متواز مع النشاط العسكري الجهادي، إذ في الوقت الذي كان فيه يقود الجيوش ويخوض المعارك، فإنه كان يفكر في الإصلاحات المدنية التي تُحسن الوضع الاجتماعي. ولعل أهم إنجازاته الإنشائية هي :

المدارس: يُعد بناء المدارس من أهم المشاريع العمرانية التي اهتم بها صلاح الدين منذ بداية حكمه. لقد اهتم صلاح الدين الأيوبي بالعلم والثقافة فقام بأنشاء العديد من المدارس التعليمية وكان من أهمها المدرسة الصلاحية في بيت المقدس كانت الصلاحية أول مدرسة رسمية في القدس. كان تأسيس هذه المدرسة من أوائل أعمال صلاح الدين بعد انتصاره على الصليبيين وتحرير القدس في رجب عام ٥٨٣هـ[٢٦].

بعد تحرير المدينة، دعا السلطان الأيوبي العلماء إلى الحضور وأعلن عن إنشاء المدرسة، كانت هذه المدرسة تسمى أيضاً (الناصرية) على اسم السلطان الأيوبي الناصر[٢٧]كان المبنى المخصص لهذه المدرسة عبارة عن مبنى قديم بالقرب من بوابة الأسباط، والتي يعتقد المسيحيون أنها موطن حنة، والدة السيدة مريم ومكان ولادة السيدة مريم و لا يزال المبنى الحجري لهذه المدرسة اليوم قائماً ومكوناً من أربعة أقسام على شكل صليب، وتوجد في مكان تقاطعه قبة صغيرة من العمارة المسيحية. لقد كان المؤرخ المشهور وملازم السلطان الأيوبي، وقاضي القضاة الشافعي بن شداد أول معلم في الصلاحية. تضمنت أوقاف السلطان للمدرسة الصلاحية أصولاً مثل سوق العطارة في بيت المقدس، ومنطقة سلوان الزراعية، وحمام، والعديد من المتاجر في سوق المدينة بعد ابن شداد، أي في عام ٥٨٨هـ ، تم اختيار عالم شافعي معروف آخر وهو مجد الدين بن جهبل الكلابي كمعلم في هذه المدرسة تجاهل مرحلة تدريس ابن شداد و رئاسته للصلاحية واصفاً نفسه بأنه أول معلم، تجاهل فترة تدريس ابن شداد معتبراً أن افتتاح المدرسة كان عام ٥٨٨ هـ. من المعروف جيداً أنه ووفقاً للنوادر، فمن الأفضل اعتبار ابن شداد المعلم الأول وأن افتتاح المدرسة كان عام ٥٨٣ هـ. يحتمل أن زيارة صلاح الدين لبيت المقدس والمدرسة وإضافة أوقاف جديدة وكتابة النقوش المدرسية في هذا العام، قد أدت إلى استبدال التاريخ الأصلي بعام ٥٨٨هـ، لكن ما أهمية المدرسة الصالحية الثقافية بالنسبة لمدينة الكرك؟

في حقيقة الأمر إن انشاء عدة مدارس ايوبية في مناطق مختلفة من الديار الإسلامية يعتبر انجازاً مهماً في ذلك الوقت شجع العديد من العامة على ارسال أولادها للتعلم ولم تكن مدينة الكرك بوصفها الأقرب لهذه المدرسة بمنأى عن ذلك فقد أرسلت العديد من أولادها إلى هذه المدرسة لتعليمهم القراءة والكتابة وعلوم القرآن والحديث وبذلك تحقق لنفسها بفضل تلاميذها دوراً مهماً في المشاركة الثقافية في ذلك الوقت.

بالإضافة إلى المدارس، بنى صلاح الدين كثيراً من الكتاتيب، لأبناء الفقراء والأيتام، وعين عليها المحفظين يعلمون كتاب الله، وأجرى عليها الجرايات الكافية، ومن المدارس أيضاً الشام مدرستين للشافعية في دمشق وهي البرانية والجوانية[٢٨]، كما شيدت أخته ربيعة خاتون مدرسة الصاحبة بدمشق وخصصتها للحنابلة، وبنى التاجر ابن الأرسوفي مدرسة بالبزازين في القاهرة في عام (٥٧٠) هـ /١١٧٤ م) [٢٩] وهكذا نجد أن المرحلة التي حكم فيها صلاح الدين حفلت ببناء المدارس.

الخوانق: وجدت الخوانق في بلاد الشام منذ السنة ٤٠٠ هـ وقد اهتم بها صلاح الدين لاهتمامه بالطرق الصوفية، والمتصوفين[٣٠].

الخانات: بني صلاح الدين الخانات في الأماكن المنقطعة، البعيدة عن العمران، وفي الطرق الموصلة بين لمدن، وذلك لخدمة أبناء السبيل والمسافرين، وقد شاهد ابن جبير الخان الذي بناه صلاح الدين في الطريق بين حمص ودمشق، وكان يسمى بـ «خان السلطان» [٣١]، كذلك بنى الأمير بهاء الدين قراقوش خان السبيل .

لقد شغلت هذه الخوانق والخانات مقصداً لسكان الكرك اثناء ترحالهم في بلاد الشام أما للتجارة أو بحثاً عن المعرفة الدينية.

المطلب الثاني: الدور الثقافي لمدينة الكرك خلال عهد خلفاء صلاح الدين:

يُعد صلاح الدين قدوة حسنة لأمرائه وقادته وأبناء رعيته، فساروا على منهجه في بناء المدارس. فقد بنى تقي الدين عمر مدرستين في الفيوم للشافعية والمالكية، كما بنى مدرسة في الرها، وأنشأ المدرسة التقوية في دمشق والمظفرية في حماة[٣٢].

أصبحت الكرك، منذ تحريرها زمن صلاح الدين الأيوبي سنة(١١٨٨/٥٨٤م)، من المراكز الإدارية في العصر الأيوبي، وقد منحها صلاح الدين الأيوبي لأخيه الملك العادل، فامتدت إمارته من السلط شمالاً

إلى العقبة جنوباً، وقد اهتم الملك العادل بالمنطقة، فأعاد إليها السمة الإسلامية، وأقام المساجد والمرافق في مدنها وقراها، وأولى قلعة الكرك عنايته، فأعاد بناء أسوارها. ولما استقرت الأمور في بلاد الشام ومصر للملك العادل بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، وأنهى صراعه مع ابن أخيه، وجعل الكرك من المناطق التي يحكمها ولده الملك المعظم عيسى[٣٣].

شهد الكرك حركة عملية نشطة، فكان الملك الأيوبي المعظم عيسى بارعا في صنوف الأدب والفقه والشعر، فقرب إليه العلماء، وقدم لهم الهبات والجوائز، وقد عمل المعظم عيسى على الاهتمام بالقرى المحيطة بالمدينة، والاهتمام بالزراعة وحفر الآبار أيضاً، ونظم المدينة، وأقام فيها المباني والمنشآت وعدداً من التحصينات في المنطقة، وأضفى عليها الطابع الإسلامي، واهتم بقلعة الشوبك وحصنها، ونقل إليها الأشجار من مختلف الأقطار حتى أصبحت تضاهي دمشق في خضرتها وكثرة بساتينها، وقد وجه المعظم عيسى أيضاً اهتمامه إلى باقي المناطق التابعة للكرك، فحرص على توفير الأمن بين بلاد الشام ومصر، وضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطرق، واهتم بمنطقة شمال الأردن والأغوار، وعمل على تأمين طريق الحج الشامي المار عن طريق الأردن، فوفر وسائل الراحة، وبنى المحطات للحجاج في مدينة معان، وحفر البرك لتوفير المياه، وأقام الحصون على طول الطريق التي يسلكها الحجاج الأمر الذي اعطى للكرك مكانة مميزة وفترة من الرخاء والازدهار الثقافي والحضاري[٣٤].

خلف الملك الناصر داوود والده الملك المعظم عيسى في الحكم وسار على سيرة والده الملك المعظم عيسى، فكان شاعراً أديباً؛ اهتم بالعلم والعلماء وشجعهم، وأنشأ مكتبة في الكرك، وجمع حوله خيرة رجال الفكر في عصره[٣٥]، حتى أصبحت إمارة الكرك إحدى المراكز العلمية المهمة في بلاد الشام، إلا أن الملك الناصر ترك دمشق بعد أن ضمها الملك الكامل إليه، وتوجه إلى الكرك ليؤسس إمارة أيوبية، شملت الأردن بحدوده الحالية إضافة إلى نابلس وأعمال القدس والخليل، في عهد الملك الناصر داود كانت مدينة الكرك قبلة الأدباء والعلماء ومن العلماء الذين سكنوا مدينة الكرك الشاعر الأديب فخر القضاة نصرالله بن هبه الغفاري المتوفي سنة ١٢٥٢ م والفيلسوف شمس الدين بن عيسى والمؤرخان سبط ابن الجوزي وابن واصل [٣٦]، وأصبح لإمارة الكرك مكانة مرموقة في المنطقة،

واستمرت الإمارة إلى أن ضمها الظاهر بيبرس للحكم المملوكي سنة(٦٦١هـ/١٢٦٣م)؛ لينهي بذلك عهد الحكم الأيوبي(٣٧).

الخاتمة:

لم تكن مدينة الكرك بمنأى عن الحياة الثقافية في العصر الأيوبي فقد شاركت وساهمت في صعودها كغيرها من المدن في المجال الثقافي مستعينة بكل ما يتم تقديمه لها من قبل الحكام والسلاطين الأيوبيين، إلا أنه في واقع الحال تبقى مكانتها العسكرية وموقعها الاستراتيجي طاغياً على أهميتها الثقافية فقد حصلت على أهميتها الفعلي للأحداث التي شغلتها خلال فترة الصراع بين الصليبيين والأيوبيين إلا أن ذلك لا يمنع وجود أهمية ومكانة ثقافية لمدينة الكرك خلال هذه الأحداث التاريخية المطربة.

نتائج البحث:

توصل البحث لعدة نتائج:

- شغلت الكرك مكانة وموقع استراتيجي متميز يصل بين بلاد الشام ومصر الأمر الذي انظار القوى المختلفة تتوجه نحو السيطرة عليها رغبة في التحكم في صلة الوصل هذه كونها نقطة تحكم بين البلدين وهذا الأمر ادركه الصليبيين فقد عمدوا إلى انشاء عدة قلاع في الكرك والمناطق التابعة لها لتكون نقطة توسع للسيطرة على المناطق المحيطة بها.
- لقد كانت الأحداث التي نشبت بين الصليبيين والأيوبيين لها أثرها في إعطاء مدينة الكرك أهميتها ومكانتها التاريخية الثقافية لدى المؤرخين، فقد كان للقلاع الصليبية دور في صمود الكرك في وجه القوات الزنكية والأيوبية على حد سواء، إلا أن ذلك لم يمنع المحاولات الأيوبية من الاستمرار حتى تمكن صلاح الدين الايوبي من السيطرة عليها وضمها لسلطنته.
- لقد اهتم الأيوبيين بالحياة العلمية على الرغم أن عهدهم كان في مجمله عصر حروب عسكرية، فقد عمل صلاح الدين الأيوبي على بناء العديد من المدارس في كل من بلاد الشام ومصر الأمر الذي ساعد على زيادة المتعلمين من مختلف الديار الإسلامية وظهور العديد من العلماء والشيوخ ، وقد عملت الكرك على ارسال أبنائها لتحصيل العلوم المختلفة في هذه المدارس.

- لقد حظيت الكرك باهتمام اكبر من قبل المعظم عيسى بوصفه رجل علم ومعرفة فقد اهتم بالكرك والعديد من المناطق الأخرى، ولم يكن اهتمامه منصباً على العلم فحسب وإنما على تأمين الجو المناسب لنمو المعرفة والحضارة في الكرك فعمل على تأمين الطرق من اللصوص وقاطعي الطرق واهتم بالمجال العمراني وفعل كل ما يلزم لتأمين حياة مستقرة ومرفها للكرك.
- إن الاهتمام الأكبر الذي حظيت به الكرك كان في عهد الناصر داوود فقد اتخذ منها عاصمتاً له وبوصفه رجل علم ومعرفة مثل المعظم عيسى أصبحت الكرك مركزاً لاستقبال اهل العلم والمعرفة ونشوء المناظرات الثقافية المعرفية في حضرة الناصر داوود وقد استقر بها العديد من العلماء والمؤرخين المشهورين من أمثال ابن واصل وقد بقيت مدينة الكرك هكذا في العهد الايوبي حتى دخلت تحت سيطرة المماليك.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
٢. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس احمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.
٣. ابن شداد، يوسف، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة محمد حلمي محمد احمد، القاهرة، ١٩٥٦م.
٤. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٩٦م.
٥. ابن واصل، جمال الدين، مفرج الكروب، تحقيق: جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
٦. ادريس، عبد الفتاح محمود، الملك المعظم عيسى الأيوبي ٥٧٦-٦٢٤هـ لمحات من حياته ، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، مصر، مج٤، عدد ٣٢، ٢٠١٤م.

٧. البخيت، محمد عدنان، مملكة الكرك في العهد المملوكي، المعهد الدبلوماسي الأردني، الأردن، ١٩٧٦م.
٨. البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
٩. الحسو، أحمد، الكرك عبر العصور، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٥م.
١٠. الطراونة، محمد سالم، الحياة الاجتماعية في لواء الكرك، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م.
١١. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٨م.
١٢. غوانمة، يوسف درويش، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م، ط٢.
١٣. غوانمة، يوسف، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر، عمان، ط٢، ١٩٨٢م.
١٤. غوانمة، يوسف، الكرك في عصرها الذهبي، مطبعة القيروان، عمان، ٢٠٠٧م.
١٥. الكاتب الاصفهاني، عماد الدين، الفتح القسي في الفتح القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
١٦. محمد، إبراهيم فرغلي، الناصر داود صاحب الكرك ودوره في النزاع الداخلي للأسرة الأيوبية، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، ٢٠١٧م، عدد ٤٥.
١٧. المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م.
١٨. وليم الصوري، الحروب الصليبية، مؤسسة الأهرام، القاهرة–مصر، ١٩٩٨م.
١٩. اليوني، قطب الدين موسى بن احمد، ذيل مرآة الزمان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، ١٩٩٦م.ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار بيروت، ١٩٨٨م.

(١) غوانمة، يوسف، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر، عمان، ط٢، ١٩٨٢م، ص ٢٦٠.

(٢) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١١٣.

(٣) غوانمة، يوسف، الكرك في عصرها الذهبي، مطبعة القيروان، عمان، ٢٠٠٧م، ص ٢.

(٤) الحسو، أحمد، الكرك عبر العصور، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٥م، ص ٤٤.

(٥) الطراونة، محمد سالم، الحياة الاجتماعية في لواء الكرك، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م، ص ٢٥.

(٦) البخيت، محمد عدنان، مملكة الكرك في العهد المملوكي، المعهد الدبلوماسي الأردني، الأردن، ١٩٧٦م، ص ٥.

(٧) وليم الصوري، الحروب الصليبية، مؤسسة الأهرام، القاهرة–مصر، ١٩٩٨م، ج١، ص ٥٠٦.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ٥١٣.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٠.

(١٠) ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ج٩، ص ١٠٦.

(١١) ابن شداد، يوسف، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة محمد حلمي محمد احمد، القاهرة، ١٩٥٦م، ج٢، ص ٤٦٤.

(١٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ص ١١٠.

(١٣) المصدر نفسه، ج٩، ص ١٢٠.

(١٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٧٦.

(١٥) احد فرسان الفرنسيين الذين قدموا إلى الشام برفقة الملك لويس السابع مع الحملة الصليبية الثانية سنة ١١٤٨م، وبعد فشل الحملة ورجوع لويس بقي ارناط في انطاكية حيث خدم صاحبتها الارملة الاميرة كونستانس التي اعجبت به وتزوجته سنة ١١٥٣م، وارتقى بذلك إلى مرتبة امير. أنظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية ، ج٢، ص ٢١٨.

(١٦) ابن واصل، جمال الدين، مفرج الكروب، تحقيق: جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٣، ص ١٥٣.

(١٧) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٠٣.

(١٨) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص ١٥٧.

(١٩) الكاتب الاصفهاني، عماد الدين، الفتح القسي في الفتح القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص ١٣.

(٢٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص ١١٧.

([٢١]) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٣٤١.

([٢٢]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٣٢٧.

([٢٣]) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس احمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ج٢، ص ١٦٢.

([٢٤]) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١٣، ص ١٢١.

([٢٥]) اليوني، قطب الدين موسى بن احمد، ذيل مرآة الزمان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، ١٩٩٦م، ج٢، ص ١٩٨.

([٢٦]) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٨١-٨٢

([٢٧]) ابن كثير، البداية النهاية، ج١٢، ص٣٢٦.

([٢٨]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٨٤.

([٢٩]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ٢٠١.

([٣٠])المقريزي، الخطط، ج ٤، ص ٢٨٢.

([٣١]) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٣٣.

([٣٢]) المقريزي، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م، ج٤، ص ٢٠٠.

([٣٣]) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٣١.

([٣٤]) ادريس، عبد الفتاح محمود، الملك المعظم عيسى الأيوبي ٥٧٦-٦٢٤هـ لمحات من حياته ، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، مصر، مج٤، عدد ٣٢، ٢٠١٤م، ص ١٧٨.

([٣٥]) محمد، إبراهيم فرغلي، الناصر داود صاحب الكرك ودوره في النزاع الداخلي للأسرة الأيوبية، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، ٢٠١٧م، عدد ٤٥، ص ١٩-٢٠.

([٣٦]) طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص ٢٥٥.

([٣٧]) غوانمة، يوسف درويش، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م، ط٢، ص١٥.